كوريا

تقدم لنا في بعض اجزاء السنة الماضية كلامٌ عن هذه البلاد ووعدنا ان ننشر ما يتيسر لنا الوقوف عليهِ من جغرافيتها ووصف طبائع اهلها . وهي كما اشرنا اليهِ هناك من اخفى بلاد الله معرفةً واغمضها مكاناً وابعدها عن الاختلاط بسائر سكان المعمور وجلّ ما يؤخذ عنها مستفاد من كتابات المرسلين وبعض من القتهم الاقدار الى تلك الارض بسبب غرقٍ او غيرهِ

اما موقع هذه البلاد فهو في الطرف الشرقي من آسيا بين ٣٣° و ٤٣° من العرض الشمالي وبين ١٢٢° و ١٢٨° من الطول الشرقي من هاجرة باريز وهي شبه جزيرة تحدّها من الشمال بلاد منشوريا ومن سائر الجهات البحر وارضها وعرةٌ في الغاية تشخص الى شماليها سلسلة جبال شامخة صعبة المرتقى وينفرش امامها من الجنوب والجنوب الغربي جزرٌ وقاراتٌ (جمع قارة بالتخفيف وهي الصخرة العظيمة اصغر من الجبل) كثيرة متلززة يقال لها ارخبيل كوريا تفصل بينها وبين مملكة اليابان . وفي البلاد بحيراتٌ واسعة ويخرج من جبالها انهارٌ كثيرة يدفع معظمها في البحر الاصفر وهو الى غربيها

والهوآء في هذه البلاد معتدلٌ في الجملة ولكنهُ بارد في الاطراف الشمالية حارٌ في الجنوبية وارضها خصيبة كثيرة المياه والزراعة فيها عامةٌ الى قِمم الجبال بحيث لا تكاد تجد فيها مكاناً بوراً حتى في الجزر الصغيرة ومعظم زراعة اهلها الرز وهو قوام اطعمتهم ولهم مزروعاتٌ اخر من القطانيّ والبقول وغيرها ويكثر فيها من الشجر التوت والنارنج

وعندهم اكثر الحيوانات الداجنة المعروفة في هذه الاقطار والسمك في في مياههم كثير وفي الجهات الجنوبية يوجد التمساح وتكثر في جبالهم وادغالهم الحيوانات البرية وعندهم من اصناف الطير شيءٌ كثيرٌ منهُ ما لا يوجد في هذه النواحي وفي جبالهم عدة اصناف من المعادن كالذهب والفضة والرصاص والحديد ويستخرجون منها كثيراً من الملح المتجمع في خلال الصخور

اما اهالي هذه البلاد فيقدّرون بنحو عشرة ملايين من النفوس وهم مقيمون من دهرٍ طويل في ظل السكينة والسلم واصلهم مجهول لكن يُظَنّ انهم أخلاط من البلاد المجاورة وكانوا قبلاً ولاياتٍ متحيزة ثم انضمّوا مملكةً واحدة

والكوريّون يشبهون اهل الصين فانهم اهل خير حذّاق لينو العريكة الا انهم ذوو بسالةٍ وشدّة ولهم ميلٌ شديد الى العلم ويوصفون بحب الرقص والموسيقى وألوانهم الى السمرة واهل الشمال منهم اعظم قاماتٍ واشدّ أسراً من اهل الجنوب . ولباسهم الجباب الطويلة ذات الاكمام الكبيرة يلبسون تحتها قُمُصاً تصل الى الركبتين وتحتها سراويل متسعة جدًّا . ويلبسون على رؤوسهم قلانس مربعة الشكل عليها فرو والاغنيآء منهم واصحاب الوجاهة يلبسون قبّعاتٍ ينفرش محيطها الى عرض ثلاث اقدام وقمّها هرميّة مستطيلة على شكل قالب السكّر . واحذيتهم من الجلد او من نسيج القطن او الحرير وقد يلبسون النعال ذات الشراك يخصفونها من عصف الزرع

اما نسآؤهم فهنَّ اقلّ سمرةً من الرجال ويلبسنَ قبآءً طويلاً يظاهرنهُ بثوبٍ آخر اقصر منهُ ويجمعنَ شعرهنَّ في عقيصةٍ كبيرة في قفا الرأس ويغطينَ

رؤوسهنَّ بمنديل . وليس مقضياً عليهنَّ كنسآء الصين ان لا يقدرنَ على المشي ولا هنَّ مُقصَيات عن مجالس الرجال

ومساكن الاغنياء منهم في غاية الأَنَقة والزخرفة وبخلافها مساكن سائر الشعب فانها حقيرة ومن اراد ان يغمّي سقفهُ بالآجُرّ لزمهُ ان يستأذن في ذلك ولذا فاكثر سقوفهم من العُصافة او القصب . وهم يبنون البيوت من الخشب يتخللهُ حجارة وبيوتهم في الغالب طبقةٌ واحدة يبنون في اعلاها هُرْياً للحبوب ويُغشّون نوافذهم بورقٍ شفّاف . والاغنيآء يبنون في مقدّمة بيوتهم ابهآء للزوّار يفصلها عن مساكنهم ساحةٌ او حديقة والنسآء يلبثنَ في البيوت الداخلية ولا يقتنون من الاثاث الا الضروريّ من الماعون

والحكومة عندهم تحظر على الاهالي مخالطة الاجانب وتمنع الاجنبيّ من جوس بلادها . اما عوائدهم فمعظمها مأخوذ عن عوائد الصين وكتابتهم بالحرف الصيني وهو المصطلح عليهِ في الكتب والمعاملات ولهم كتابة اخرى يستعملها كبرآؤهم وخواصّهم لا تعرفها العامّة وكتابةٌ ثالثة بين الرجال والنسآء . ولغتهم لغةٌ خاصّة يخالطها الفاظٌ صينية والدارسون منهم لا يُقبَلون في الخُطَط الاّ بعد أداء الامتحان على حدّ ما هو الحال في الصين ويميزون انفسهم بريشتين يزينون بهما قلانسهم

اما دينهم فهو على مذهب فُوَا(١) وبعض كبرآئهم على مذهب

---

(١) هو صاحب شريعةٍ في الصين لهُ اتباعٌ كثيرون واصلهُ من بنارس بالهند وقيل من كشمير ولد سنة ١٢٠٧ قبل الميلاد ومن قواعد شريعته تحريم الكذب واحترام مال الغير وتحريم قتل كل ذي روح واجتناب الخمر والدعارة والتصديق بالثواب والعقاب

كنفوشيوس وعندهم اديارٌ كثيرة يكون في بعضها نحوٌ من ٥٠٠ راهب وللراهب عندهم ان يخلع الرهبانية اذا شآء ولرؤسآء الرهبانيات مقامٌ رفيع ولا سيما اذا كانوا من اهل العلم وبخلافهم الرهبان فانهم محتقرون . ولا يجوز للراهب ان ياكل شيئاً كان فيهِ روح وهم يحلقون شعر رؤوسهم ولحاهم وتحرُم عليهم مكالمة النسآء ومن خالف شيئاً من ذلك عوقب بضرب العصيّ وطُرد من الرهبانية . وكل راهبٍ عند دخولهِ في الرهبانية يُوسَم في ذراعهِ بوسمٍ لا يذهب ابداً . وهم يتعيشون باعمال ايديهم وقد يتعاطون التجارة او الكُدية ومنهم من يتعاطى تعليم الاحداث ولجميعهم مقرَّراتٌ من الحكومة . وعندهم ايضاً اديارٌ للنسآء ولراهباتهم ان يخرجنَ اذا شئنَ ويتزوجنَ

والمتزوّجون عندهم يجمعون بين عدة نسآء الا ان المرأة الشرعية لا تكون الا واحدة وللرجل ان يطلّق متى شآء بدون قيد . ونسآء العامة تشاطر رجالها اشقّ الاعمال

والكبرآء منهم والاحرار يعتنون العناية الكاملة بتربية ابنآئهم وتعليمهم حتى يصيروا اهلاً لتولي الخُطَط والعبيد بخلافهم فانهم يهملون اولادهم لانهم متى صاروا قادرين على العمل دخلوا تحت تصرف مواليهم

واذا مات احد الاحرار فلا يُدفَن الا بعد ثلاث سنوات من موتهِ وهذا مما يدل على ان عندهم التحنيط ويكون دفنهُ في الربيع او الخريف ويحدّ عليهِ بنوهُ هذه المدّة كلها واما الاخ فيحدّ على اخيهِ ثلاثة اشهر فقط .

بعد الموت . ولم ينتشر مذهبهُ في الهند الا قبل الميلاد بنحو ٢٠٠ سنة وكهنتهُ يقال لهم البونز ويعيشون معاً في الاديار

وعند الدفن يضعون حول القبر ملابس الميت وعربته واعزّ خيله عليهِ فتكون هذه الاشيآء مغنماً لحاضري الجنازة وينصبون على قبور كبرآئهم تمثالاً من الحجر وكتابةً وبذلك تتميز عن قبور العامّة

واما الإرث فالقسم الاعظم من متروكات الاب يكون للبكر من اولادهِ وباقيهِ يوزَّع بين بقية الابنآء . اما البنات فالظاهر انهنَّ لا يرثنَ ولا يكون معهنَّ حين الزواج الا جهازهنَّ

ولهذه المملكة اميرٌ تنتقل الامارة في صلبهِ وهو مطلق السلطان فيها الا انهُ تحت إمرة امبراطور الصين يؤدّي اليهِ خراجاً سنوياً فاذا مات ورد منشور المُلك على وليّ عهدهِ من قِبَل الامبراطور على يدي اثنين من بطانتهِ فيتقبل ذلك المنشور وهو جاثٍ على ركبتيهِ ويذهب سفيرهُ في باكين فيسجد بين يدي الامبراطور ويرفع اليهِ الخراج . وزوجة الملك الجديد لا يُطلَق عليها لقب ملكة الا بعد ان يُنعَم عليها بهِ من بلاط باكين

وللملك مجلس شُورَى مؤلف من وزرآئهِ ومن اكابر الخُطَط في البر والبحر وشرائعهُ شديدة والعقاب أليم وأقلّ هفوةٍ يُعاقَب عليها بالعصيّ كما في الصين وكل من لا ينتظم في الجندية عليهِ ثلاثة اشهر سخرة للملك

ولما كانت البلاد محاطةً الا اقلها بالبحر فكل مدينةٍ بحرية تخصص سفينة مجهزة بالمؤن والمدافع فتجتمع هذه السفن اساطيل تحرس الثغور وتراقب كل اجنبيٍّ ينوي التسلل الى داخل البلاد . وقد ورد سنة ١٧٩٧ الى خور تشاسان ربّان انكليزي يقال لهُ بروطُن بقصد التماس الوقود والمآء فلم يكد يلقي مراسيهُ حتى احاطت بهِ الزوارق وهي غاصّة بالرجال والنسآء والاولاد

ينظرون اليه لاستغرابهم منظرهُ ولما خرج الى البرّ لم يمنعوهُ ولكن عينوا له مسافةً لا يتعداها ولما دخلها المبشرون في القرن السابع عشر ذبحوهم عن آخرهم بعد مدة قصيرة من دخولهم ولم تُفتح ابواب كوريا للغريب الا بقوة اليابان ويقال ان جملة من فيها من الاجانب اليوم لا تزيد على ثلاثة عشر الف نفس منهم ٩٥٠٠ من اليابان و ٢٧٠٠ من الصينيين و ١٠٠ من الاميركان والبقية وهم لا يتجاوزون عشراتٍ قليلة من سائر طوائف اوربا

الانتحار

من اعجب ما رُكّب في طبع الانسان من غرائب الاطوار انك بينا ترى بعض الناس ينقّب عن اسباب طول البقآء ويحرص على ازدياد نَفَسٍ من انفاس الحياة ولو كان في قرارة الشقآء اذ ترى غيرهُ يتطلب اسباب المنيّة بطُرُق الانتحار ويتعجل حلول اجلهِ ليدفع شقآء الحياة بالبوار وما ذلك الا لان الدنيا على ساكنها دار عقاب وأن الحياة على ربها سوط عذاب الاّ أن من الناس من يعلل نفسهُ بحديث الآمال ومواعيد الاستقبال فيصبر على ما يمسّهُ فيها من الوبال ومنهم من يرهقهُ اليأس فلا يستطيع على بؤسها قراراً ويتمنى التخلص منها فلا يجد بغير الموت فراراً على ان الموت بالمرصاد فمن لم يتعجلهُ بيدهِ فلن يفوتهُ في غدهِ والدهر يومان يومٌ عليك ويومٌ لك فان فاتك ما استدبرتَ منهُ فلن يفوتك ما استقبلك

واسباب الانتحار كثيرةٌ منها ان يعثر الدهر بالفتى ويمنيهُ بالفقر بعد

الغنى حتى يحتاج الى ابتذال وجهه بالسؤال وتحمُّل منن الرجال فيختار الموت على ذل الابتذال واولئك من لا يرون الحياة في مأكل ولا مشرب ويرون الموت آتياً ليس منهُ محالةٌ ولا عنهُ مذهب فيتعجلونهُ تخلصاً بأهون الشرّين . ومنها العشق حتى يرى الدنيا كلها في معشوقهِ بل لا يرى من الدنيا سواهُ فلو زفقتها اليهِ بأسرها ولم يكن محبوبهُ فيها لم يرَ انهُ قضى شيئاً من مناهُ ولا ادرك حظاً من دنياهُ فتمثَّل الحياةَ صورةً لليأس قد ارتسمت على صفحة وجدانهِ وكلما استقبل وجه الصباح قرأ فيهِ صحيفة حرمانهِ فوجد من الوحشة ما يستحبّ عليهِ وحشة القبر ومجاورة الرِمَم . ومنها ان يُبتلَى بدآء عقام يتقلب فيهِ على قتاد الأرَق ورَمَض الآلام ويرى نفسهُ يخطو كل يومٍ خطوةً الى الرمس وآمالهُ تَهوِي متهافتةً في اودية اليأس حتى لا يجد للحياة معنىً الا اطالة عنآئهِ ثم ورود المنية بعد ان يتجرعها مراراً بين صباحهِ ومسآئهِ فيتعجلها دفعةً واحدة وويلٌ اهون من ويلات . ومنها ان يقع في شُهرةٍ من دنيئةٍ ارتكبها او سُبّةٍ احتقبها فيجد من مضّ العار ولحظات عيون النظار وما يأخذهُ من حرّ الندامة وتقريع النفس اللوّامة ما يصغّر نفسهُ اليهِ ويهوّن لقآء المنية عليهِ فيجعل القبر بينهُ وبين العائبين سدًّا . وعلى الجملة فَجُلّ اسباب الانتحار او كلها يرجع الى اليأس واعتقاد عدم الانتفاع بالبقآء وانما هو من نتائج خَوَر الطبيعة وسقوط المُنّة ولذلك لا يكاد ينتحر الا الجبان لما يرى في نفسهِ من العجز عن مقاومة البلآء

على ان سأمة الحياة كما تكون من سوء احتمال شقآئها ونفاد الصبر

على مسّ بلآئها قد تكون من سوء احتمال نعيمها وفراغ الذرع من اثقالها وهمومها ومن غريب العِبَر في ذلك ما رُوي من ان رجلاً خانتهُ دنياهُ وضاقت عليهِ مذاهب العيش حتى عزم على الانتحار فتناول مسدَّساً لهُ وجهزهُ ووضعهُ على مائدةٍ في وسط غرفتهِ ثم جعل يتمشى في طول الغرفة وعرضها وهو كلما مرّ بالمائدة تناول ذلك المسدَّس فصوَّبهُ الى دماغهِ ثم ادركهُ الحرص على الحياة فردّهُ الى المائدة وعاد يتمشى حتى تكرر ذلك منهُ مرّات . وبينا هو كذلك اذ قُرِع عليهِ الباب ففتح فاذا برجلٍ من ذوي الشارة ومظاهر الغنى فلما رآهُ اضطرب ووقف مبهوتاً فاخذ الرجل بيدهِ الى داخل الغرفة ثم قال اني مقيمٌ بهذا المنزل الذي يواجه غرفتك وقد رأيت ما كنت تحاول صنعهُ فلمَ عزمت على قتل نفسك . قال اني رجلٌ كنت من اهل اليسار وسعة اليد وقد اتفق لي من تقلب الدهر بذويه ما جرّدني من اموالي وحاولت ان أُخلف ولو ما يكفيني ذل السؤال فلم اجد في كل ما بسطت يدي اليهِ الا حرماناً وقد بعت حتى لم ادع الا الثوب الذي عليّ فلم يبقَ الا ان اصرم حياتي بالموت . قال بئست النفس الصغيرة ألهذا انت عازمٌ على فراق الدنيا بيد أني أراك لست بأهلٍ للاقدام على مثل هذا الامر لان في نفسك اشياء من الدنيا لا تسمح بفراقها حتى تقضي نهمتك منها وانا رجلٌ قد نلت من كل شيءٍ من اصناف النعيم وعرفت كل ما في هذه الدار فتاقت نفسي الى ان اعرف ما في الدار الاخرى . ثم تناول من جيبهِ صكاً بمبلغٍ طائل من المال ودفعهُ الى الرجل وقال دونك هذا فأقم بهِ اود معاشك واخذ المسدَّس فارسل منهُ رصاصةً الى دماغهِ فخرّ لوقتهِ صريعاً

على ان الانتحار لا يختصّ بما كان بالسلاح وسفك الدم فهناك ضروبٌ اخرى من الانتحار لا سلاح فيها ولا تقضي على المرء لوقتها ولكنها تتلف حياتهُ شيئاً فشيئاً وتستنزف دمهُ قطرةً فقطرة حتى يضمحلّ وهو لا يدري. فمن تلك الضروب ادمان الاشربة الروحية التي تحرق المعدة وتسطو على الكبد والرئتين فبينا ترى السكّير مورّد الوجنتين تارّ البدن قويّ البنية اذ تراهُ قد تهوّر في ضعفٍ لا نجاة لهُ منهُ وشرب من كاس منيتهِ ما لا تفي بهِ تلك الكؤوس. ومنها تعاطي السمّ المعروف بالمرفين يتخذهُ اصحاب الآلام المبرّحة لتسكين فورة الالم لكنهُ لا يلبث ان يصير عادةً فيهم يتعذر عليهم تركها ويدعو بعضهُ بعضاً حتى يبلغ مقداراً لا تحملهُ البنية فيسكّن آلامهم بالموت وفقدان الحسّ جملةً. ومنها الاسراف في الشهوات والملاذّ البدنية فان الافراط من اللذة من مهلكات الحواس وانما خُلقت اللذة في الانسان لحكمةٍ قُصد منها الترغيب فيما وراءها تذرعاً الى بقاء بنيتهِ ونوعهِ فالطبع ولا شك يدعو الى الاستزادة منها ما وسع صاحبها المزيد ولكن خلق العقل ليكون قائداً للطبع مقيّداً للشهوات والاّ ضاعت مزية الانسان على الحيوان بل كثيراً ما ترى الحيوان في ذلك خيراً من الانسان

ومن تلك الموبقات الاسترسال الى الدعة والراحة والتقلب في مهاد الترف والنعيم مما يترهل بهِ الجسم وتزول قوّتهُ على مقاومة العوارض واحتمال سطوات الطبيعة فاذا مرّ بالانسان اقلّ جهدٍ من تعبٍ او سهرٍ او غيرهما خرّ على فراشهِ مريضاً وكثيراً ما تغلبهُ العلّة لضعف الجسم عن مقاومتها فيكون فيها حَينهُ. وذلك فضلاً عما تورثهُ هذه الحال من فساد البنية بما

يتجمع فيها من الفضول السامة وتعرّض الجسم لكثيرٍ من الآفات المرضية والعلل المزاجية القتالة مما لا تُتقى غوائلهُ الا بالرياضة والحركة قضاءً لحق وظائف الاعضاء وتقويةً لها على ملاقاة الطوارئ ٠ ويلحق بذلك شدة التحرُّز في المآكل والمشارب والمبالغة في اتقاء التقلبات الطبيعية من الحرّ والبرد والرطوبة وغيرها حتى يقيم المرء بينهُ وبين الطبيعة حجاباً كثيفاً وسدّاً منيعاً وبذلك يجعل نفسهُ عرضةً لما توقاهُ لانهُ عند اول مرةٍ يُخرَق فيها ذلك الحجاب ولو سهواً تتسلط عليهِ تلك العوارض بكل قواها اذ لا تجد فيهِ ما يقاومها فيكون بمنزلة من جرّ عليهِ حرباً ولا سلاح يدفع بهِ عن نفسهِ لان اول سلاحٍ على الطبيعة اعتيادها ومقاتلتها بسلاحها عينهِ ٠ ومنها الافراط في الحزن عند وقوع المصائب فقد يشتدّ الهول على المصاب حتى يرى ان القيامة قد قامت عليهِ وان الطبيعة قد ضربتهُ بكل سلاحها فيُخلد الى الجزع والكآبة ويستولي عليهِ الأرَق والاضطراب حتى يفضي بهِ الامر الى انتهاك القوى البدنية والنفسانية وتستحوذ عليهِ الامراض والآفات المهلكة ٠ ومنها شدة تهافت الانسان على الاهتمام والدأب وجهد النفس الى ما فوق طاقتها في الاستكثار من حطام الدنيا على غير حاجةٍ اليهِ كما يفعلهُ اكثر ارباب الاموال ممن تراهم كلما اتسع غناهم اتسعت مطامعهم وازدادوا حرصاً على ما بأيديهم وتهالكاً على الكسب حتى تكون زيادة اموالهم زيادةً في نَصَبهم وعنائهم فتضنى ابدانهم وتُنهك قواهم بادمان جهد الفكر واستمرار تنبه الحواسّ مما يكون على الغالب مجلبةً للآفات المختلفة التي اقلّ عواقبها تسلط الاسقام وتقصير ايام الحياة ٠ ومن اولئك المقامرون الذين يحيون

الليالي بين مجاهدة الحواس ومغالبة اهوآء النفس والتعرُّض للانفعالات الفجائية يتنقلون فيها من طور الى طورٍ ويتقلبون بين كِفتَي الرجاء والقنوط وصدمتي الفرح والاكتئاب وكلها احوالٌ مؤدية الى العطب بما لها من شدة التأثير على اعصاب الدماغ وهي ولا شك تنتهي باضمحلال البنية اذا لم تنتهِ باليأس الذي هو اعظم دواعي الانتحار . وقس على ذلك ما اشبههُ من الاسباب التي يكون منشأها في الغالب الاسترسال مع الطبع وترك الاعتدال في الامور حتى يُحمَل على النفس الى ما فوق احتمالها فلا ينتبه الانسان الى تفريطهِ حتى يقرع سنهُ ندماً حين لا ينفع الندم

وهناك انتحارٌ آخر لا تُسفَك فيهِ دماء العروق ولا يُتخوَّن ما تحت الجلود ولكن يُقتَل فيهِ الشرف والمروءة وتُنحَر الاحساب والمآثر وتُتلَف المواهب الطبيعية والمنن الرحمانية فترى الفتى الذكيّ الفؤاد السليم الفطرة الكريم المولد يتهافت الى معاشرة الارذال ومخالّة السفهاء فلا يلبث ان تسري اليه عدوى رذائلهم ويلبس شعار دناءتهم فتموت فيهِ الوجدانات الشريفة ويخلع عنهُ رداء الحياء ويبرز صفحتهُ للعار والامتهان حتى يموت موتاً ادبياً وهو موت من لا يذكر بعد موتهِ بحسنة ولا تُستَر لهُ سيئة . وهذا ولا ريب هو شرّ انواع الانتحار لما فيهِ من هدم الشرف والالتطاخ بالمعايب وكثيراً ما يجرّ الى غيرهِ من الانواع المقدَّم ذكرها لما انهُ جماع الشرور وملتقى الرذائل ومفاسد الاخلاق وهو من الآفات المنتشرة بين ابناء الاغنياء والكبراء عندنا حتى ترى اكثرهم شيناً على ذويهم وعُرَّةً في وجوه احسابهم فضلاً عما قد يقترفون من الجنايات والموبقات . وانما يُتلافى هذا الداء

باحسان التربية وتنشئة الاحداث على الفضائل ومكارم الصفات وصرفهم الى الاشتغال بالعلوم والآداب حتى ينشأ فيهم ما يرفع نفوسهم عن مقارنة اهل الجهالة والنقائص . ولا يكفي في ذلك ان يلقنوا مبادئ بعض العلوم او اللغات مما قد يكون ضرره اكثر من نفعهِ ولكن لا بدّ بعد تلقينهم تلك المبادئ العامة من حملهم على نوعٍ مخصوص من انواع العلوم يتعمقون فيهِ ويلحقون بخاصة اهلهِ حتى يجدوا من انفسهم ميلاً الى الاشتغال بهِ والتوفر عليهِ وهم ولا شك اقدر من سواهم على ادمان تعاطي العلم والتفرغ لهُ عن الاشغال المعاشية فيكونون فضلاً عما يكتسبونهُ في انفسهم من الرجال النافعين في البلاد العاملين على تشييد مباني العلم وتجديد معالم الفضل واحياء مجد الأُمة بما يبدو لهم من جلائل الاعمال ومحاسن الآثار

الوقاية من الدفثيريا

لحضرة النطاسيّ الفاضل الدكتور حبيب كرم

الدفثيريا او الخُناق داءٌ معدٍ معروف ينتشر غالباً كوباءٍ شديد الوطأة لا يرهب كبيراً ولا يرحم صغيراً الا انهُ اكثر ما يعرض للاحداث وخصوصاً من كان منهم بين سنتين وخمس سنين . وهو يفتك فتكاً ذريعاً بحيث انهُ في بعض السنين كانت الوفيات تبلغ الستين في المئة من المصابين او اكثر ولم تكن تهبط الى العشرين الا نادراً . وسبب هذا الداء نوعٌ من الانبوبيات (الباشلّس) اكتشفهُ الدكتور لُفلَر والدكتور كلَبْس فنُسِب اليهما وسُمّي انبوبيّات كلبس لفلر ثم دُرِست طبائعهُ وطرق نموّهِ واشتهر بذلك الاساتذة

رو ويرسن في فرنسا وبهرنغ في المانيا وسدني مرتين في انكلترا . ومنذ نحو اربع سنين اكتُشفت طريقة جديدة لعلاج هذا الداء وهي طريقة الحقن بالمصل جرّبها رو في فرنسا وبهرنغ في المانيا في عهدين متقاربين فنقص معدل الوفيات بهذه الطريقة كثيراً حتى صار لا يتجاوز العشرين في المئة او دونها في الغالب والفضل في ذلك اولاً لمكتشفي الانبوبيات المذكورة وهما لُفلر وكلَبْس وثانياً لرو وبهرنغ اللذين استعملا طريقة الحقن بالمصل المار ذكرها

وقد كثر الآن الباحثون من رجال العلم في هذه الانبوبيات فصار يمكن مقاومة فتكها ومنع انتشارها اكثر مما كان قبلاً . وهي توجد فقط في الغشاء الكاذب الذي يتكون غالباً في الحلق فتفرز هناك سماً وهذا السمّ يمتصهُ الجسم فتظهر الحمَّى وبقية اعراض المرض المعروفة . اما طريقة انتشارها فهي بواسطة خروج قطع من الغشاء الكاذب المشتمل على الانبوبيات اما بالسعال او بالبصاق فتلتصق هذه القطع بثياب من يقرب من المريض او بفرش الغرفة ومنها قد تتطرق الى الايدي ثم الى الفم فاذا صادفت قرحةً اوخدشاً في الفم التصقت هناك ونمت وتكاثرت واحدثت المرض

فاذا اصيب ولدٌ بالدفثيريا يجب المبادرة الى وضعهِ في غرفةٍ منفردة قليلة الفرش الا ما لا يُستغنَى عنهُ لراحة المريض والممرّضة ويكون مدخلها منفصلاً عن بقية غرف البيت اذا امكن ويعيَّن لتمريضهِ اما امهُ او ممرّضة مخصوصة ولا يسمح لغير الطبيب بالدخول عليهِ ولا للممرّضة بالخروج من الغرفة الا بعد تبديل ثيابها وتطهير يديها جيداً بسائلٍ من السوائل المضادّة

للفساد ويجب غسل كل الادوات التي يمسها المريض حالاً بمضادات الفساد وافضلها محلول السليماني على نسبة واحد الى الف

اما الثياب فيجب وضعها في المآء الغالي حوالي نصف ساعة وهذا الوقت كافٍ لقتل الانبوبيات ومنع سريان العدوى اذ انهُ من الممكن ان تعيش في الثياب حتى الجافّة مدّة اشهر ولا تفقد شيئاً من قواها السامّة

اما اذا اصيب ولدٌ بهذا المرض في احدى المدارس فيجب للحال عزلهُ في محلٍّ منفرد وعزل الاولاد الذين خالطهم في اليومين او الثلاثة الايام الماضية في محلاتٍ منفردة ايضاً والكشف عليهم كل يوم ليرى اذا كانت انتقلت اليهم العدوى . ومدة عزل الاولاد الذين يقعون تحت هذا الاشتباه لا يلزم ان تزيد عن يومين وفي الثالث اذا كان الحلق سليماً عُلم انهم نجوا من العدوى وحينئذٍ فلا مانع بعد الاستحمام وتطهير الثياب من مخالطتهم لبقية التلامذة. على انهُ بعد اكتشاف طريقة الحقن بالمصل اعتاد كثيرٌ من الاطبآء ان يحقنوا بهِ الاولاد الذين خالطوا المريض وذلك لوقايتهم من العدوى وهي طريقة احتياطية مستحسنة ولو خالفها بعض الاطبآء

وعند ما يشفى الولد المصاب يجب ان يُفحص عن الانبوبيات فحصاً مجهريّاً (مكرسكوبيّاً) ليُتحقّق خلوّ الحلق منها قبل ان يُرفَع الحجر عنهُ لان الانبوبيات قد تبقى هناك مدّة طويلة وقد وجدها الدكتور رو في حلق مصابٍ بعد اربعة عشر يوماً من الشفآء وقال لُفلَر انهُ يمكن ان تبقى في الحلق بعد الشفآء مدّة اشهر

فاذا تحقق ان المصاب قد طَهُر من الانبوبيات يجب مسح جسمهِ

ببعض المضادّات للفساد ثم غسلهُ بالمآء والصابون الفينيكي وحينئذٍ يجوز لهُ ان يخالط اهلهُ وذويهِ . اما الغرفة فيلزم تطهيرها جيداً وافضل طريقةٍ لذلك ان تُرَشّ جدرانها وسقفها وارضها بمحلول السليماني المارّ ذكرهُ وبعد ذلك تُقفَل الشبابيك اقفالاً محكماً ويُسدّ كل خصاصٍ فيها يمكن ان يدخل الهوآء منهُ او يخرج ثم تُشعَل فيها كمية من الكبريت تختلف باختلاف اتساع الغرفة وذلك على نسبة ٢٠ غرام كبريت لكل متر مكعب وتترك مقفلة ٢٤ ساعة وبعد ذلك تُفتح النوافذ وتترك هكذا يوماً كاملاً قبل العود اليها . واما فرش الغرفة وثياب الولد فالافضل تسليمها الى ادارة الصحة فتبخّرها على طريقة التطهير بالبخار الشديد الحرارة وهي افضل طريقة لقتل هذه الجراثيم

مُتَفَرِّقَاتٌ

الذهب في النبات — قد عُلم من تحليل النبات انهُ يشتمل على معادن شتى منها الحديد والزرنيخ والكاسيوم والبوتاسيوم والمغنيسيا وغيرها وقد تبين بعد الاختبار انهُ يوجد فيهِ الذهب ايضاً قيل ووجود الذهب في النبات مما عُرف من عهدٍ قديم وقد اشتغل متقدمو الكيماويين في مزاولة استخراجهِ منهُ وفيما زعم بعضهم ان اول من حاول ذلك القديس يوحنا الرسول حين كان يكتب سفر الرؤيا في جزيرة بطمس استدلالاً ببيتٍ من الشعر للراهب آدم دسان فكتور الا ان هذا ليس من الادلّة التي يوثق بها لجواز

ان يحمل كلام الراهب المذكور على المجاز اذ ليس كل ما جآء في الشعر يؤخذ على ظاهرهِ . واول ما رُوي في ذلك من الحوادث المحققة ان احد الرهبان اليسوعيين في القرن السابع عشر دفع الى بيشر الكيماوي شيئاً من رماد الطرفآء حقق لهُ ان فيهِ ذهباً فعالج بيشر هذا الرماد فوجد الامر على ما قال . ثم انهُ في القرن الثامن عشر تبين لرُوال الكيماوي المشهور وجماعةٍ من معاصريهِ ان الذهب يوجد في رماد كثيرٍ من انواع النبات وقد عالج روال وأرساي ٥٠ كيلغراماً من رماد زرَجون العنب فاستخرجا منها ١٣،٦ غراماً من الذهب الخالص . وامتحن مثل ذلك برتولاي في المقدار نفسهِ من الرماد المذكور فلم يخرج لهُ الا غرامان و ٧٩،

وفي نحو ذلك التأريخ اثبت الكيماوي جرجيس صاج استاذ المعادن في دار السكة باريز ان الذهب يدخل في بنآء عدّة انواع من النبات واجرى في ذلك عدة امتحانات اثبت ما كان عنها في مذكّرةٍ تلاها في ندوة العلوم في ٢٣ مايو سنة ١٧٧٨ . ومن امتحاناتهِ انهُ اذاب في بوتقة ١٢٢،٢٧ غراماً من رماد الزرجون و ١٥،٧٢ من اول اكسيد الرصاص و ٦١،١٨ من مكاس الطرطير اضاف اليها قليلاً من مسحوق الفحم فكان عنها سبيكةٌ من الرصاص استخلص منها بالنسخ حبّة من الذهب الخالص وهي نحوٌ من ٠،٥٣ من الغرام

وقد اجرى عدا ذلك امتحاناتٍ شتى في رماد الزرَجون ورماد الزان والسماد وتراب الطبقات الظاهرة من المباقل القديمة التي لم تنقطع زراعتها وتسميدها منذ خمسين سنةً فما فوق فاستخرج من كل واحدةٍ من هذه

المواد مقداراً من الذهب تختلف كميته تبعاً لنوع المادّة نخرج لهُ من الخمسين كيلغراماً من السماد ٦،٧٨ غرامات ومن رماد الزان ٩،٥٤ ومن رماد الزراجين ١٧،١٨ ومن تراب المباقل ٧٤،٧٦ . الا ان علمآء وقتهِ لم يعبأوا بما قرّرهُ من هذه الامتحانات وعدّوا كلامهُ ضرباً من الخرافة وما زال معدوداً كذلك الى ان تحققت صحتهُ في اواسط القرن الحالي حين عمد كيماويو دار السكة بباريز الى تحقيق امتحاناتهِ فعالجوا مقداراً كبيراً من رماد الزراجين باقوى الذرائع الكيماوية المحدثة فكان من ذلك سبيكةٌ من الذهب ضربوا منها ست قطع من دينار لويس

الا ان هذا العمل يقتضي نفقاتٍ كثيرة لا تفي بها قيمة الذهب المستخرَج فقد وُجد ان الدينار من الدنانير المذكورة كانت نفقتهُ ٢٥ فرنكاً مع ان قيمتهُ كانت ٢٤ فرنكاً و ١٥ سنتياً ولذلك فليس في هذا العمل منفعةٌ مادّية . لكن قام في هذه الايام واحدٌ من كيماوييهم يقال له المسيو ريترفزعم انهُ اهتدى الى طريقةٍ يتهيأ لهُ بها استخراج الذهب من مساحةٍ كبيرة من أرباض باريز بنفقةٍ تستفضل كثيراً من قيمة الذهب ونشر في ذلك شرحاً قدَّر فيهِ النفقات والارباح مع بيان المواد التي يستخدمها في العمل فان صحَّ ما زعمهُ فهو من اغرب ما توصل اليه الانسان في استخراج منافع الطبيعة

وزن الدماغ والعقل — المشهور ان العقل يكون على الغالب تابعاً لكبر الدماغ وثقل وزنهِ ولكن الاختبار دلّ على ان في الامر اختلافاً بعيداً لا يطرّد معهُ حكم . وقد عمد المستر سِمْس الى اجرآء عدة امتحانات في

هذا الشأن فذكر ان اثقل دماغ عُرِف دماغ رجلٍ كان يبيع الجرائد في لندن وكان في غاية الفدامة والبلادة وقد وُجد وزن دماغه ٢٤٠٠ غرام . ويليه دماغ صعلوكٍ من قرويي السكنديناويين يقال لهُ رُسطان وثقل دماغه ٢٣٤٠ غراماً. ثم دماغ فتاة هندية وزنهُ ٢٢٠٠ غرام وهو يزيد ٧٠٠ غرام على اثقل ادمغة الافراد من عقلآء الرجال . اما معدَّل وزن ادمغة الرجال فيتفاوت كثيراً فهو على قول فلين يكون ١٥٠٠ غرام وعلى قول كروز يبلغ ١٠٥٠ غراماً وذكر سِمْس انهُ وزن ستين دماغاً من ادمغة مشاهير الرجال فكان معدَّل ثقل الواحد منها ١٥٢٠ غراماً ووزن عشرة ادمغة من ادمغة البلدآء وخمسة من ادمغة المعتوهين فكان معدَّلها ١٧٧٦ غراماً وعليهِ فالظاهر ان الذي ينبغي ان يُعتبَر في تمييز الادمغة انما هو الكيفية لا الكمية اي ان يُنظَر الى هيئة بنآئها الذاتي ونسبة وضع العناصر الخلوية فيها دون الزنة الدالّة على مقدار تلك العناصر

تقسيم سطح الارض — قرر الاستاذ راڤنستَيْن احد اعضآء الندوة الجغرافية الملكية ان سطح الارض يشتمل على ٢٨ مليون ميل مربع من الاراضي المخصبة و ١٤ مليوناً من الاراضي المجدبة ومليون من الصحاري الغامرة. قال فلو فرضنا ان الميل المربع من الاراضي المخصبة يؤوي ٢٠٧ انفس ومن كلٍّ من الاراضي المجدبة والصحاري يؤوي ١٠ انفس كان في الارض متَّسَعٌ لستة آلاف مليون من البشر وبمقتضى احصآئهِ سيبلغ الناس هذا العدد سنة ٢٠٧٢

اسئلة واجوبتها

بيروت — ارجو الافادة عن لفظتي « حيرة وغيرة » هل ينطق بهما بكسر الحاء والغين ام بفتحهما وهل لذلك من قاعدةٍ يُرجع اليها في مثل هاتين الكلمتين شكري فرح

الجواب — الظاهر انكم تريدون مصدري حار وغار وكلاهما بفتح اولهِ واما بالكسر فالحِيرة اسمٌ لعدة بلدان منها البلد المشهور بقرب الكوفة والغِيرة بمعنى الميرة وهي ما يُجلب من الطعام . واما القاعدة في مثل المصدرين المذكورين فهي ان كل مصدرٍ من فَعِلَ المكسور العين اذا كان مختوماً بالتاء ولم يكن من الالوان فهو بفتح اولهِ كالرحمة والرأفة والسأمة والكأْبة والرغبة والرهبة والخشية والخيبة والهيبة وغير ذلك وقد تُفتَح العين في النادر كالأَنَفة والأَمَنة والشفَقة واندر منهُ كسر الفآء كالشِقوة او ضمها كالرُغبة بمعنى الابتهال وهي الفاظٌ محفوظة لا يكاد يتعدى المنقول منها ما ذكرناهُ

بغداد — يستعمل الكتاب عندنا كلمتين لم نجدهما في كتب اللغة احداهما قولهم « شهَّل المبلغ » بمعنى حوّلهُ وهي من اصطلاح التجار والثانية قولهم « العشَم والتعشم » بمعنى الامل فما الاصل في هذين الاستعمالين

يعقوب مسيَّح

الجواب — اما « التشهيل » فلم يُحكَ شيءٌ في مادّتهِ يمكن ان يردّ اليهِ المعنى الذي ذكرتموهُ فالظاهر انهُ من الاوضاع العامية . ويستعمل في لغة الشام بمعنى التعجيل في انجاز الامر وغلب عند التجار على التعجيل في

النقد وربما استُعمِل بمعنى ارتفاع السعر وكل ذلك ليس من اللغة في شيء. واما « العَشَم » فهو في اللغة بمعنى الطمع نقلهُ العامة الى معنى الامل والمعنيان متقاربان ولا يقال « تعشم » بهذا المعنى وانما التعشم بمعنى اليبس من الهزال وهو من اللفظ المتروك

القدس — شاع في استعمال الكتاب جمع العادة على « عوائد » خلافاً للقياس فهل حُكي هذ الجمع عن العرب ام هو من استعمال المولدين

خليل السكاكيني

الجواب — قال في تاج العروس ومن جموع العادة عوائد ذكرهُ في المصباح وغيرهِ وهو نظير حوائج في جمع حاجة نقلهُ شيخنا اه . فالظاهر من هذا النصّ ان هذا الجمع منقولٌ عن العرب لثبوتهِ عند ائمة اللغة. وقول صاحب التاج بعد ذلك « الذي صرّح بهِ الزمخشريّ وغيرهُ ان العوائد جمع عائدة لا عادة » لا يخلو من سبق قلم لان غاية ما يُفهَم من كلام الزمخشري ان العائدة تجمع على عوائد كما هو القياس ولم يتعرض لذكر جمع العادة لا على عوائد ولا على غيرها ونصّ عبارتهِ في الاساس « وما اكثر عائدة فلان على قومهِ وانهُ لكثير العوائد عليهم » لم يزد على ذلك ولم نجد في غيرهِ من الكتب التي لدينا كلاماً في هذا المعنى والله اعلم

المنصورة — كثيراً ما اجد في كتب اللغة مثل قولهم رجلٌ حَمُول اي ذو حلم ويقولون هو فَعُول بمعنى فاعل ولكنهم لا يطلقونهُ على كل من يحمل شيئاً حسياً او معنوياً غير هذا المعنى والذي يظهر لنا انهُ من باب التغليب

اي تغليب بعض معاني الكلمة على بعض والا فالقياس اللغوي لا يمنع ان نقول لكل من يحمل الشيء كثيراً حمول اذ هو من الفاظ المبالغة التي تنوب عن فاعل اذا اردنا التكثير وعدم ذكر ذلك في كتب اللغة لا يمنع من الجري عليهِ لانها دوّنت المسموع . ولوثوقي بسعة اطلاعكم في هذا العلم احببت استطلاع رأيكم في مثل هذه المسئلة وانا منتظر ما يخطهُ البنان من البيان ولكم الفضل　　محمود نجم الدين

الجواب — لا شك ان العرب لم ينطقوا بكل ما يحتملهُ قياس اللغة كما ان اللغويين لم ينقلوا كل ما نطقت بهِ العرب وحينئذٍ فما لم يُنقَل الينا لا بدّ من الرجوع فيهِ الى القياس جرياً على سنّة الواضع نفسهِ وذلك فيما ثبتَ فيهِ القياس ولم ينصوا على منعهِ او يغلب على وجهٍ يمنع العدول الى غيرهِ . وعليهِ فالظاهر انهُ في مثل الكلمة التي ذكرتموها لا يمتنع ان تُستعمَل في مطلق الحمل حسياً كان كما اذا قلنا بغلٌ حَمُول ويشهد بصحتهِ مأخذ الحَمُولة لكل دابةٍ تحمل فانهُ نُقل الى الاسمية عن الوصف فزيدت التاء فيهِ كما زيدت في الركوبة واشباهها والاصل التجريد او كان معنوياً كقولنا فلانٌ حمولٌ للحوائج وحمولٌ للمغارم ومن هذا قول المتنبي

وما عشت من بعد الاحبة سلوةً　　ولكنني للنائبات حَمُولُ

وفي تفصيل هذا الموضع كلامٌ طويل يقتضي مقالةً برأسها فنكتفي منهُ بهذه الاشارة وقد سبق لنا في مقالة اللغة والعصر في البيان كلامٌ في هذا المعنى لا يخلو من تبصرة فراجعوهُ أن احببتم

آثار ادبيّة

كتاب الآداب السلطانية والدول الاسلامية — هو الكتاب المشهور المعروف بالفخري لمؤلفهِ العالم العلاّمة محمد بن عليّ بن طَباطَبا الذي ألّفهُ لفخر الملة عيسى بن ابرهيم صاحب الموصل صدّرهُ بفصلٍ طويل في اخلاق الملوك وبيان ما يُستحَبّ ان يكون فيهم من الخلال وما يُكرَه منهم وينبغي لهم تجنبهُ وذلك في كلامٍ سهل المأخذ معزَّز بالامثلة من حوادث متقدمي الملوك والوزرآء وغيرهم مما دلّ على سعة علم المؤلف وغزارة مادتهِ وكثرة ما وعى في صدرهِ من التواريخ والحكم . ثم انتقل الى ذكر الدول الاسلامية من دولة الخلفآء الراشدين ومن تلاهم من خلفآء بني امية وبني العباس وما تخلل ملكهم من الدول الصغيرة مع بيان سيرة كلٍّ منهم وما تضمنتهُ من العبر والمواعظ فكان كتاباً غزير الفوائد جامعاً بين التاريخ والسياسة وعلم الاخلاق حريًّا بان يستفيد منهُ الحكيم ويرتاض عليهِ اللبيب ويستبصر بهِ السائس والمسوس

وقد عُنيت بطبعهِ شركة طبع الكتب العربية في القاهرة التي اخذت على عاتقها احيآء آثار المتقدمين والتنقير عن كل نادرٍ من كتبهم مما بَعُدَ منالهُ وعزّ مثالهُ فنثني على الشركة المشار اليها اطيب الثنآء ونرجو لها التوفيق الى دوام المثابرة على هذه الخدمة الشريفة . والكتاب يشتمل على نحو ٣٠٠ صفحة حسن الطبع والورق وثمنهُ ثمانية غروش مصرية فنحضّ جمهور الادبآء وطلاّب السياسة والتاريخ على مقتناهُ

فكاهات

رواية

تقلبات القدر[1]

كان لوجيهٍ من نبلآء الانكليز ابن وحيد يدعى ارنست لهُ من العمر عشر سنوات ولوالدهِ من الاملاك الواسعة والغنى الوافر ما لا يحصى . وكان الاب قد طعن في السن وشعر بقرب وفاتهِ فاوصى بجميع مالهِ لابنهِ الوحيد ارنست وكان لهُ اخٌ يقال لهُ ادورد فاقامهُ وصيًّا على ابنهِ من بعدهِ ولم يكن العم في منزلة الاب بالغنى والجاه فاوصى لهُ ايضاً بمبلغ الفي جناي ياخذها سنويًّا في مقابلة اعتنآئهِ بارنست الى ان يبلغ رشدهُ ويستولي على تركة ابيهِ . ولما مات اللرد المذكور اخذ العمّ في تدبير املاكهِ وامواله فرأى من سعة الثروة وامتداد السلطة ما شوقهُ الى الاستيلآء على املاك اخيهِ ولكي يتيسر لهُ ذلك عمد الى ابعاد ارنست ما استطاع والانتفاع بما في يديهِ مدة غياب الوارث فارسلهُ الى مدرسةٍ في المانيا ليتلقى علومهُ فيها . وكان ارنست ذكيًّا متوقد الفؤاد فلم يلبث ان برع في جميع العلوم التي تعاطاها وكان اشدّ ميلهِ الى الموسيقى فرغب الى رئيس المدرسة ان يقصر درسهُ على هذا الفن فامتنع من اجابتهِ الى ذلك بايعاز عمهِ وقال يجب عليك ان تستكمل جميع دروسك

---

(١) معربة عن الانكليزية بقلم نسيب افندي المشعلاني

اولاً ومتى انهيتها فلك ما تحب . ولما اتمّ ارنست دروسهُ كما امرهُ عمه الى درس الموسيقى فنبغ فيها حتى صار من المعدودين بين اهلها وكان جملة ما قضاهُ من الزمن في المانيا اربع عشرة سنة . واشتاق ارنست الى وطنهِ وقد رأى انهُ حصل على كل ما يؤمل تحصيلهُ في المدرسة فطلب الى رئيسهِ ان يأذن لهُ في الرجوع الى انكلترا وكان رئيسهُ قد تلقى الاوامر من عمهِ بابقآء ارنست في المانيا ما استطاع فمنعهُ مراراً واخيراً كتب ارنست الى عمه يستأذنهُ في العودة الى الوطن فلم يجبهُ الى ذلك وامرهُ بالبقآء هناك الى ان يطلبهُ

واتفق ان ارنست دخل يوماً الى غرفة الرئيس ليكلمهُ في الامر فرأى على مائدتهِ رسالةً مفتوحة فعرف للحال انها من عمهِ فلم يتمالك من النظر اليها فاذا هي الى رئيس المدرسة يقول لهُ فيها انك لا تجهل ان ارنست اذا عاد الى هنا كان اول ما يفعلهُ انهُ يستولي على جميع ميراثهِ واُحرَم انا جميع ما اتمتع بهِ الآن فاجتهد في ابقآئهِ بعيداً عني وزيّن لهُ السفر الى الهند او الصين او الجحيم بشرط ان لا يأتي الى انكلترا ولك مني ما تحبّ . فلما وقف ارنست على ذلك السر اظلمت الدنيا في وجههِ وادرك مقاصد عمهِ السيئة فعقد النية على الرجوع الى انكلترا وعلم ان الرئيس لا يأذن لهُ في ذلك فعزم على الفرار خفيةً وجعل يستعد لذلك فرتب كتبهُ وملابسهُ وسائر متعلقاتهِ ووضعها في صناديق وعنونها باسمهِ ثم اغتنم الفرصة في ليلةٍ حالكة السواد فخرج من المدرسة بملابسهِ فقط وبعض النقود التي كان قد جمعها في سنتهِ الاخيرة حتى اذا صار خارج المدرسة اخذ يواصل السير طول ليلهِ ولما لاح لهُ الصباح وجد نفسهُ في سهلٍ واسع لا انيس بهِ فلم يدرِ اين هو وخاف

ان يطول تيههُ قبل ان يصل الى مأوًى يلجأ اليه فلم يسترح الا هنيهةً قصيرة ثم عاود السير في ذلك القفر الى ان قاربت الشمس المغيب فرأى عن بعد في منتهى السهل بنآءً عالياً فقصدهُ ولما بلغهُ قرع الباب مراراً فسمع وقع اقدام ثقيلة ثم فُتح الباب فاذا رجلٌ ضخم الجسم غليظ الهيئة قبيح الصورة فاستوحش ارنست من منظرهِ وحدثتهُ نفسهُ ان يتركهُ ويعود في طريقهِ غير انهُ كان قد بلغ منهُ التعب والجوع فعدل عن فكرهِ وبش في وجه الرجل وكلمهُ بلطفٍ فاخبرهُ انهُ تائهٌ عن طريقه وطلب اليهِ ان يُؤويهُ تلك الليلة عندهُ . فقال حباً وكرامة وادخلهُ الى المنزل ثم صعد بهِ الى غرفةٍ علوية حيث يستريح و بعد قليل احضر لهُ طعاماً وشراباً فاكل وشرب ثم انطرح على سريرٍ هناك ونام

ولما انتصف الليل شعر ارنست بغتةً بيدٍ لطيفة تنبههُ وصوتٍ رخيم يناديهِ فافاق مذعوراً ثم انار مصباحاً فرأى امامهُ فتاةً لطيفة القوام بديعة الصورة فتعجب ارنست من وجود مثل تلك الفتاة في ذلك الموضع الموحش وكانت الدموع تترقرق من عيني الفتاة وهي تكلمهُ بصوتٍ واجف فقالت باللغة الانكليزية الفصحى اعذرني يا سيدي على دخولي اليك في مثل هذا الوقت فان للضرورة احكاماً . انني ارجو منك بل ابتهل اليك ان تغادر هذا المكان في الحال وتسرع في الخروج ما استطعت . فتعجب ارنست وقال ولمَ ذلك قالت انك هنا تحت خطرٍ عظيم وقد اشفقت عليك لانك من بني جنسي واني انصح لك واستحلفك بكل عزيزٍ عندك ان تسمع مني . قال ولكنني لا اعرف الطريق والليل حالك فلا اظن خروجي آمَن من بقآئي . فتوقفت الفتاة هنيهةً ثم قالت انا اخرج معك وأريك الطريق فاعجل ما

استطعت . ورأى ارنست الحاحها فنهض لساعته وانطلقت امامهُ من باب سرّي الى اسفل المنزل ثم فتحت الباب الكبير ولما خرجا منه اقفلته بالمفتاح وجرت مسرعةً وهي تلح على ارنست ان يتبعها . وللحال سُمع على باب المنزل صوت ضرب عنيف فان الرجل كان قد شعر بهرب الفتى واسرع في اتباعهِ فوجد الباب مقفلاً من الخارج فاعمل فيهِ فأسهُ حتى كسرهُ وخرج في اثر الصاحبين شاتماً معربداً واطلق غدارتهُ مراراً . اما الفتاة فقادت ارنست الى منعطفٍ هناك واختفيا تحت صخر كبير وذهب الرجل وهو يعجُّ حتى ابتعد عنهما واوغل في ذلك البر

وفي تلك الفترة اخذت الفتاة تقص على ارنست حديثها فقالت انني ابنةٌ انكليزية من الأُسَر الشريفة في انكلترا توفيت والدتي على اثر مولدي وتزوج ابي ثانيةً فلما مات ارسلتني رابّتي الى دير الراهبات وبعد ان قضيت فيهِ مدة طويلة علمت ان رابّتي تعمل على اهلاكي فهربت من الدير وجعلت اطوف المدن والقرى حتى اوصلني سوء البخت الى يد هذا الرجل القاسي الذي كنتَ على وشك الوقوع في شركهِ فانهُ رجلٌ سفاكٌ قاتل ولصٌّ دني.. وهو لم يمس كرامتي قط ولكن اجبرني على البقآء عندهُ لاغري المسافرين على المبيت في منزلهِ حتى اذا ناموا قام اليهم وهم على اسرّة الراحة فقتلهم ودفن جثثهم في بئر بالقرب من المنزل وسلب ما معهم من الثياب والمال والجواهر. فتضايقت جدًّا من وجودي عندهُ ولكنهُ كان يَقِظاً فلم يمكني الفرار ووددت ان اخبر الزوّار بالامر واسعى في خلاصهم وخلاص نفسي معهم فلم يمكني ذلك قبل الآن ولما علمت انك انكليزي ومن ابنآء وطني طمعت في النجاة

وجرى ما تعلمهُ . وعند ذلك سمع الاثنان وقع قدمي الرجل عائداً من بحثهِ وهو يتوعد ويتهدّد ومرّ بجانبهما فسترتهما الظلمة عن عينيهِ . ولما ابتعد عنهما عاودا المسير ورأى ارنست من لطف الفتاة ومشابهة حالتها لهُ ما جعل لها موضعاً من قلبهِ ولم يتم سفرهما حتى تعاهدا على الحب والزواج ورغب ارنست في تعجيل ذلك خوفاً على الفتاة من الظنة ولم يشأ ان يشهر نفسهُ باسمهِ قبل ان يصل الى انكلترا فعرَّفها بنفسهِ تحت اسم المستر هرمن وكانت الفتاة تسمى باسم أليس . ولما وصلا الى اول مدينة آهلة اقترن بها اقتراناً شرعيًا ثم لم يزالا سائرين حتى بلغا مدينة درمستاد فاكترى هناك منزلاً واحسن فرشهُ ورياشهُ وعزم على البقآء هنالك الى ان يصلح الامر مع عمهِ فيذهب الى مسقط رأسهِ بالاحتفال اللائق بلُردٍ مثلهِ . وكان يقضي معظم وقتهِ في محادثة أليس وملاطفتها واشرابها طباعهُ ومحبتهُ ثم عمد الى تعليمها الموسيقى فبرعت فيها وعلمها أُغنيّةً كان قد ألفّها ولم يكن عندهُ الذّ من سماعها منها

ولما علم رئيس المدرسة بفرار ارنست اعلم الشُرَط ودقق البحث فلم يقف لهُ على اثر فارسل واخبر عم ارنست بذلك فلما بلغهُ الامر اظلمت عيناهُ وكتب الى رئيس المدرسة يعنفهُ على اهمالهِ ثم ارسل من يبحث لهُ عن ارنست لينصب لهُ شركاً جديداً . وبعد ان اقام ارنست بدرمستاد مدةً كتب الى عمهِ يخبرهُ بما فعل ويقول انني قد بلغت السن التي فيها استولي على ميراثي فتى تريد ان احضر لاتمام ذلك . ولو أن صاعقة وقعت على رأس العم لكانت أسهل عليهِ من ذلك ولكنهُ تجلد وكتب الى ابن اخيهِ يأمرهُ بالحضور في الحال وان يبقي الغرض من حضورهِ مكتوماً الى ان تتم المعدّات

لاعلان بلوغهِ سن الرشد وتسليمهِ ميراثهُ . فلما بلغ ارنست كتاب عمهِ عزم على الرحيل اليهِ واخبر زوجتهُ انهُ سيغيب عنها مدة اسبوعين فقط لقضاء اشغال ضرورية ولم يعلمها بحقيقة الامر فشقّ عليها فراقهُ جدًّا ولكنهُ اقنعها بوجوب ذلك واعدَّ لها من اسباب السرور والتسلية ما يدفع عنها ثقل اليأس مدة غيابهِ ثم ودعها وسافر . ولما بلغ لندن توجه توًّا الى بيت عمهِ من غير ان يعلم بهِ احد فاستقبلهُ عمهُ بالبشاشة والاكرام وبعد ما جلسا حيناً يتحادثان قال لهُ عمهُ هلمَّ معي لاطلعك على بعض ما يتعلق بامر ميراثك قبل اجراء التسليم وقام فانطلق امامهُ وتبعهُ ارنست فسار بهِ في دهليز ينتهي بسُلَّمٍ ملتفّ فنزلاهُ ووصلا الى حجرةٍ مظلمة ولما صارا على بابها قال العم قد علمت يا ارنست انك ستكافئني بالطرد بعد اعتنائي بك فقد اعددت لك هذا المحل لعلهُ يرجع اليك الافكار الثاقبة . ولما قال ذلك جمع قواهُ ودفع ارنست الى داخل الحجرة ثم اقفل الباب تاركاً ذلك المسكين في الظلمة الحالكة واليأس ينادي ولا مجيب ويدعو وليس من يسمعهُ . وكان عمهُ يرسل اليهِ طعام كل يوم مع خادمهِ الخاص وامين اسرارهِ

وكانت أليس تعد الدقائق لرجوع زوجها وهي تخالها اعواماً حتى اذا انقضى الاسبوعان ولم يرجع اقلقتها افكارها وشعرت بويلٍ عظيم ثم انتظرت اياماً اخرى بدون طائل فجعلت تبحث عن المستر هرمن فلم تجد من وقف لهُ على خبر . ونفدت الدراهم القليلة التي ابقاها لها ارنست ثم استُحقّت اجرة البيت فادركت المصاب الذي وصلت اليهِ وجعلت تبيع رياشها وتنى الى ان لم يبقَ عندها قوت ليلة فخرجت من البيت باكيةً حزينة وهي لا

تدري الى اين تذهب او اين تبيت ليلتها. فجعلت تقرع ابواب الكرام طلباً للخدمة او لتعليم الموسيقى التي كانت قد اتقنتها واتفق اخيراً ان رأتها سيدة سائحة فرقّت لها واخذتها مربيةً لابنتها فجعلت تسافر مع تلك السيدة من بلدةٍ الى اخرى وهي لا تفتر عن البحث عن المستر هرمن فلم ينبئها احد بوجودهِ. وبعد ان مضى عليها بضعة اشهر ودنت ساعة ولادتها علمت بذلك سيدتها فاستاءت وغلب عليها سوء الظن بأليس وانها لم تخدم عندها الا لتستر نفسها فنقدتها اجرتها وطردتها من البيت فذهبت المسكينة منكسرة القلب فاكترت لها غرفةً في بيتٍ وفي اليوم الثاني ولدت ابنة ودعتها اڤيلين. وكان كثيرون بعد ذلك يرون أليس ويطلبون التزوج بها لجمالها المفرط وحسن صفاتها غير انها لم تكن لتنسى زوجها وان لم تكن على بينةٍ من غيبتهِ الطويلة عنها ولا تدري هل كان صنيعهُ ضرباً من الخداع ثم تركها ام اصابهُ مكروه فمات ولذلك استمرّت تدأب في الشغل هنا وهنالك لتعيش مع ابنتها بدون ان تتذلل لاحد

اما ارنست فبقي مسجوناً في بيت عمهِ ستة اشهر وهو كلما خطرت أليس في بالهِ يضيق صدرهُ فيضرب باب غرفته ويلطم جدرانها فلا يجيبهُ الا الصدى. وفي نهاية الستة الاشهر وافاهُ الخادم الذي اعتاد ان يجيئهُ بالطعام ففتح الباب وقال تفضل يا مولاي اللرد الى القصر فاستغرب ارنست ذلك واستفهمهُ عما يقول فاخبرهُ ان عمهُ قد توفي في ذلك الصباح. فخرج ارنست من سجنهِ وهو لا يصدّق بالفرج وبعد ان قضى عمهُ واجب الدفن اعلن رجوعهُ الى البلاد واستولى على ازمّة الاملاك والاشغال ثم اقام وكيلاً

ينوب عنهُ في اشغالهِ وتوجه على جناح البرق الى درمستاد فقصد البيت الذي كان ترك فيه أليس فوجدهُ فارغاً وعلم انها كانت قد تركت البيت منذ اسبوعين اذ لم يكن في يدها ما تفي بهِ اجرتهُ فشعر كأن سهماً اخترق قلبهُ وطفق يبحث ويجدّ في التنقيب عنها ثم جعل يدور من مدينةٍ الى اخرى فزار مدن المانيا وفرنسا وانكلترا فلم يحصل على اقل املٍ في لقآئها وندم على عدم اخبارها باسمهِ الحقيقي لتسأل هي عنهُ فعاد الى قصرهِ آئساً حزيناً

وبعد عشر سنوات من هذه الحادثة ذهب ارنست كعادتهِ سنوياً الى باريز لقضآء اشهر الشتآء فيها واتفق ان سار يوماً يتمشى في ضواحي المدينة يناجي افكارهُ فاستدعى انتباههُ صياح فتاةٍ فنظر واذا بجواد ينهب الارض وعليهِ فتاةٌ صغيرة قد جمح بها ولم تستطع يداها الضعيفتان على ضبطهِ . ورأى ارنست الخطر المحدق بالفتاة وان الجواد يزيد هيجاناً فتنحّى الى جانب الطريق حتى اذا قاربهُ الجواد فاجأهُ بضربةٍ من عصاهُ على ام رأسهِ فوقف الجواد بغتةً ثم اضطرب وسقط الى الارض وسقطت الفتاة بين ذراعي ارنست مغشياً عليها فاستعمل لها الوسائط الممكنة حتى عادت الى رشدها ووجدت نفسها على يدي ارنست ولما وقع نظرها على وجههِ اللطيف المنعطف عليها بحنو الاب شعرت بميلٍ اليهِ وحبٍّ عظيم فجعلت تشكرهُ بأرقّ العبارات . وكان ارنست يتأمل في وجه الفتاة فرأى فيها جاذباً علّق فؤادهُ بحبها وعرض عليها ان يوصلها الى بيتها فشكرتهُ وفيما هما كذلك اذ وفد عليهما الخادم وكان قد جد في اثرها فسلمتهُ الجواد وسارت مع ارنست حتى بلغا طرف حديقةٍ كبيرة محيطة بقصر فاخر فقالت الفتاة هذه

ارض ابي وجعلت تتخلل مع ارنست تلك الاشجار الى ان وصلت الى مقعدٍ خشبي حول مآءٍ يجري فجلست الفتاة تحادث ارنست . ولما همَّ بمفارقتها قالت لا اتركك تذهب ما لم تعدني انك تأتي كل يومٍ لتراني هنا في مثل هذا الوقت . وكان في كلامها البسيط وعواطفها الطاهرة ما قاد اليها ارادة ارنست فوعدها وانصرف فنادته ُ وقالت لكن قبل ذهابك ارجو ان تعرّفني باسمك لاحفظه ُ مع جميلك الذي صنعته ُ معي . قال اسمي اللُرد ارنست وانتِ ما اسمكِ . فقالت اسمي اڤيلين

وكان بعد ذلك يوافي الفتاة في اكثر الايام كما وعدها فتقصّ عليهِ اخبار طيورها والحيوانات التي تربيها وهو يتلو عليها بعض النوادر والروايات الى ان جآء يوماً متأخراً عن الميعاد وكانت بانتظارهِ فسمعها من بعيد تغني الاغنيةّ التي كان قد الّفها في المدرسة وعلَّمها لأَليس في شهر زفافهِ وحالما بلغ صوت الفتاة سماعه ُ ارتعد جسمه ُ وصعد الدم الى وجههِ ولما فرغت من الغنآء اقترب منها وهو حائر فقال لها لقد احسنتِ الغنآء ولكن من علمكِ هذه الاغنيةّ . قالت والدتي . قال وما اسم والدتكِ . قالت أليس . فشعر ارنست ان الارض تغور تحت قدميهِ فتجلد ثم قال لها وما اسم ابيكِ قالت يظن الناس ان ابي اللرد دربي صاحب هذه الاملاك والحقيقة ان اللارد دربي توفيت زوجته ُ وهو شيخ ولما كان لا بد له ُ من احد يعتني ببيتهِ وكنت انا ووالدتي ساكنتين في بيتٍ صغير نعيش من اشغال والدتي وتعليمها الموسيقى اتفق مع والدتي ان تأتي الى بيتهِ وتتولى تدبير شؤونهِ فهي بالحقيقة مدبّرة البيت وليست صاحبته ُ . اما ابي فكثيراً ما كانت والدتي ولم تزل تخبرني

عنهُ وتعلمني ان اتضرع الى الله ان يرجعهُ الينا لانهُ كما قالت لي ذهب يوماً قبل ان اولد انا ولم يرجع بعد فلا نعرف هل تركنا لنموت او مات هو . فقال ارنست وهل اخبرتكِ والدتكِ عن اسم ابيكِ . قالت كيف لا وانا اصلي كل يومٍ لرجوع ابي المستر هرمن . فلم يعد ارنست يتمالك نفسهُ فجعلت دموعهُ تتساقط كالسيل ثم قال لأَفيلين وهل والدتكِ الآن في المنزل . قالت نعم . قال هل لكِ ان تدعيها لمواجهتي فان عندي شيئاً اقولهُ لها عن المستر هرمن لاني اعرفهُ جيداً . فاسرعت افيلين لتعلم والدتها وهي لا تصدق انها تسمع شيئاً عن والدها وبعد قليل عادت والى جانبها سيدة مرتدية بثياب سوداء حريرية . ولما اقتربتا من ارنست تفرّس ملياً في وجه تلك السيدة ثم صاح اشكرك يا الهي فقد وجدت زوجتي ثم وقع الاثنان بعضهما على عنق بعض . ولما كُفكِفت الدموع اخبر كلٌّ منهما صاحبهُ بما اتفق لهُ من الحوادث في مدة الفراق وعلمت أليس ان ارنست محافظ على محبتها كما حافظت هي واتفق الاثنان ان يخبرا اللرد دربي بالامر وتعود أليس الى زوجها اللرد ارنست مع ابنتها . وفي نفس ذلك المساء توجه ارنست لمقابلة اللرد وقصّ عليهِ الحادثة الغريبة التي جرت لهُ منذ احد عشر عاماً فتعجب اللرد الشيخ وقال اشكر الله ان زوجتك لم تُمسّ بسوء كل هذه المدة وقد حفظها الله لك . ثم هنأَ الزوجين بعود اجتماعهما وفي الغد ودّعاهُ وعاد ارنست الى املاكهِ بانكلترا مع زوجتهِ وابنتهِ افيلين وعاشوا جميعاً بتمام السعادة والصفاء